وكان متواضعاً طالباً للعلم ((يقرأ على تاج الدين الكندي المتوفى ٦١٣هـ/١٢١٦م، وكان يقرأ عليه دائماً... وكان يمشي من القلعة راجلاً إلى دار تاج الدين والكتاب تحت إبطه))[١] فضلاً عن ذلك انه كان ملكاً شجاعاً وأديباً وفاضلاً متضلعاً في علوم عدة من نحو وأدب[٢]. وهذه الشمائل و النعوت نادراً ما تجتمع في الملوك.

وكان القاضي صدر الدين محمد الكردي الكاجكي يمارس التدريس في المدرسة التغرية النورية بمدينة حلب من سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٥م إلى سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م وباشر بعد ذلك مهمة القضاء في بعض مدن الشام[٣].

وكان الملك الأمجد بهرام شاه الأيوبي صاحب بعلبك جواداً كريماً وأديباً فاضلاً وشاعراً، قتل سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م وخلف ديواناً شعرياً[٤]. وكان يراعي العلماء وبعضهم يكتبون له[٥]. له[٥]. وبهذا يظهر أن بني أيوب لم يكن مشجعين للتأليف والتصنيف، بل شاركوا بأنفسهم بأنفسهم في هذا الميدان[٦]. أما المقرئ المعروف بالزين الكردي محمد بن عمر فكان مقرئاً في الشام وتصدر بجامع دمشق وتوفي سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م[٧]. وكان يعاصره الأمير الأجل أبو عبدالله محمد ابن أبي الثناء الداويني المنعوت بالمعين، وسمع بالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر الأصفهاني السلفي[٨]. وكان قدم مصر صحبة السلطان تورانشاه بن أيوب أخ السلطان صلاح الدين، في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م، وتوفي سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م[٩].

---

(١) أبو شامة، مصدر سابق، ص ص٩٧-٩٨.
(٢) المقريزي، درر العقود الفريدة، ق٢، ص٣٤٧.
(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص١٠١.
(٤) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٠٠ " الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء:- إحسان عباس (فسبادن:-١٩٨٢م) ج٣، ص٣٠٤-٣٠٥.
(٥) ينظر:- ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، شرح وتحقيق:- نزار رضا (بيروت:- د.ت)، ص٦٥٠.
(٦) ناظم رشيد، النشاط العلمي والادبي في عهد الاسرة الأيوبية، بحث منشور في مجلة اداب الرافدين، الرافدين، جامعة الموصل ١٩٧٧، العدد الثامن، ص٤٤٩.
(٧) الذهبي، مصدر سابق، ج٣، ص٢١٠، الحصيني، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، قدم له:- كمال الصليبي. (بيروت:- ١٩٧٩)، ج٢، ص٤٩٩.
(٨) دخل الإمام أبو طاهر السلفي منطقة الشام طلباً للحديث منذ بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وبعد مرور اكثر من ثلاثين سنة رحل إلى منطقة الشام ومصر محدثاً وسكن هناك وأفاد الطلاب. ينظر:- ابن الابار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي (القاهرة:- ١٩٦٧م)، ص٤٧.
(٩) أبو الفدا، المختصر، ج٤، ص٤٣٨.

اشتهر في مصر عدد ممن سلكوا طريق الصوفية من الكرد منهم الشيخ صالح الزاهد أبو حفص الكردي الذي توفي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م. ودفن في مصر[١].

وفي سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م توفي الصلاح الأربلي الذي كان أديباً فاضلاً وشاعراً فقيهاً التحقق بخدمة الملك الكامل (ت ٦٣٥هـ /١٢٣٨م) وصار نديمه[٢]، وكان الأمير الكردي مجد الدين أبو حفص أخا الفقيه عيسى الهكاري أيضاً، فضلاً عن مواقفه البطولية تجاه الصليبيين مهتماً بسماع الحديث وطلبه من شيوخه[٣].

وأما الملك المحسن احمد بن السلطان صلاح الدين من ملوك الأيوبيين فقد كان محدثاً مشهوراً ونعته طائفة بالمحدث العالم توفي سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م[٤].

وكان للملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص دور علمي مشهود، إذ حصل على إجازة في الحديث وحدّث بدمشق وحمص واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي توفي سنة ٦٣٧هـ/١٢٤٠م[٥]. واشتهر الملك المظفر بن الملك الأمجد المتوفى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤١م بأنه كان شاعراً وله نظم حسن كوالده[٦].

وهكذا نلاحظ تواصل اهتمامات الأيوبيين العلمية ليس في ميدان التشجيع والدعم المادي بل بالمواظبة على المساهمة الفعلية بغية تحصيل ملكة الإبداع ومحاولة التعمق في شتى العلوم ولاسيما الدينية منها.

لازم بعض علماء الكرد في الشام الاهتمام بالتدريس وأولوه عناية كاملة من نحو بهاء الدين احمد الكردي الذي درس بالمدرسة الرواحية بمدينة حلب في سنة ٦٣٩هـ/١٢٤٢م، وولى التدريس في المدرسة نفسها كمال الدين أبو الفضائل احمد بن أبي الحجاج الكردي منذ سنة ٦٤٤-٦٤٥هـ/١٢٤٦-١٢٤٨م. كما ودرس العالم الكردي موفق الدين أبو القاسم بن عمر بن الفضل الكردي الحميدي في المدرسة الشعيبية بحلب من سنة ٦٣٣-٦٤٢هـ/١٢٣٥-١٤٤٤م[٧].

---

[١] المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص٣١٧.

[٢] الصفدي، مصدر سابق، ج٧، ص٦٢-٦٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٨٦.

[٣] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص١٦٦، المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص٣١٦.

[٤] الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ (الدكن: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ج٤، ص١٤١٩، الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٦٧-٢٦٨.

[٥] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢١٦، مؤلف مجهول، كتاب الحوادث، ص١٦٥-١٦٦.

[٦] ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٧٠.

[٧] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص ص ١٠٥-١٠٦.

ومن علماء الكرد المشهورين الذين أثروا الحياة العلمية في أواخر العهد الأيوبي ورد ذكر الفقيه زين الدين يوسف الكردي والفقيه الشيخ صالح علاء الدين ابن الكردي اللذين توفيا سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٦م[١].

ويمكن أن نعد الشيخ الفقيه مفتى الشام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن الصلاح الشهرزوري من أشهر علماء الكرد في تلك الحقبة قاطبة. وكان أحد فضلاء عصره ليس في مجال الإفتاء والفقه فحسب بل في التفسير والحديث وأسماء الرجال أيضاً[٢]. وبالإضافة إلى ذلك كان له باع طويل في التدريس بالكثير من المدارس المتخصصة بالفقه والحديث[٣]. وكان له تصانيف عدة منها كتاب في علوم الحديث مشهور بـ (مقدمة ابن الصلاح)، وكذلك في مناسك الحج وفي الفقه وجمع بعض أصحابه فتاويه[٤] واشتهر بين علماء الإسلام وصارت مصنفاته مصدراً للآخرين[٥].

ومن شيوخ الكرد المعروفين بالشام قبيل العهد المملوكي ورد ذكر الشيخ إسماعيل الكوراني[٦] المقيم بمقصورة ابن سنان الحنفية بجامع دمشق الذي كان قانتاً، أماراً بالمعروف ونهاءً عن المنكر واشتهر بكونه ذا غلظة ونصيحة للملوك توفي سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م[٧].

---

[١] أبو شامة، مصدر سابق، ص١٧٧.

[٢] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٤٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٥٤.

[٣] ينظر:- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٢٧، ابن حجر العسقلاني، شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، راجعه وقدم له محمد عوض، علق عليه محمد غياث الصباغ (دمشق: د.ت)، ص٦، الداودي، طبقات المفسرين، تحقيق:- علي محمد عمر (القاهرة:- ١٩٧٢)، ج١، ص٣٧٧.

[٤] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٤٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٢٧، محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث (مكة المكرمة: ١٣٩٨هـ)، ص١١.

[٥] ابن كيكلدي العلائي، تحقيق المراد في أن النهي يقتضى الفساد، تحقيق:- ابراهيم محمد السلقيني (دمشق:- ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٦٤، ى هامش رقم (٣).

[٦] الكوراني نسبه إلى قبيلة الكورانية الكردية الشهيرة ورد ذكرها منذ بداية القرن الخامس الهجري / / الحادي عشر الميلادي وحدد مقامهم بمنطقة ماهيدشت(در تنك) درتنك باقليم الجبال قرب نهاوند وندوشهرزور. ينظر:- مؤلف مجهول، مجمل التواريخ والقصص، تصحيح، ملك الشعراء محمد تقي بهار (نهران: ١٣١٨هـ. ش)، ص٤٠١، العمري، مسالك الابصار، ج٣ و ١٢ " القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣٧٣.

[٧] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٧٩، الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٥١.

وكان العز الأربلي عبدالعزيز بن عثمان المتوفى سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م شيخاً وإماماً حسناً ومسنداً سكن بدمشق، إذ كان إماماً بدار الحديث فيها[١].

أما الأمير الكبير شرف الدين الهذباني[٢] الأربلي فسمع الحديث من شيوخ عدة وحدث وكان ذا علم وأدب توفي بمصر سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م[٣].

وكان يحضر في تلك الفترة بالقاهرة الأديب جمال الدين الأربلي الذي كان بارعاً في صنعة الألحان وغير ذلك[٤].

وكان كمال علي بن يعقوب الدولبي المتوفى سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٨م أحد الفقهاء الذين نالوا الشهرة في الشام، وهو كردي جوزقاني[٥] تولى منصب القضاء في عدة مدن الشام وكان شيخاً في الفقه فضلاً عن كونه أديباً[٦].

ونبغ قبيل العهد المملوكي في مصر والشام العالم الكردي المشهور بابن الحاجب الفقيه المالكي الذي انتقل من مصر إلى دمشق سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ودرس في جامعها وسكن الديار المصرية منذ سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م إلى أن توفي سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م وكان عالماً ومتفنناً في علوم شتى من الأصول والفروع والعربية والتفسير والتصريف واللغة والعروض[٧]. وكان يعدّ من أذكى الأئمة في عصره وخصوصاً في مجال اللغة العربية[٨] خلف مصنفات قيمة في

---

[١] أبو شامة، م. ن، ص١٧٩.

[٢] الهذباني، نسبة الىالقبيلة الهذبانية التي كانت من اكبر القبائل الكردية في العصر الإسلامي، ولها بطون مشهورة كالمارانية والزرزارية، وكانت تعد منطقة اربل وضواحي الموصل الشرقية موطن الهذبانية. ينظر:- المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٣٥.

[٣] الذهبي، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥٣، الغساني، العسجد المسبوك، ج٢، ص٥٥٨.

[٤] ينظر البغدادي، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه:- محمد محمد نبيل طريفي (بيروت:-١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٣، ص٤٤.

[٥] جوزقان:- قبيلة كردية ينظر، السيوطي، لب اللباب في تحرير الانساب، (٠بغداد: د.ت)، ص٧٠، اول ما وردت بهذه الصيغة عند كلام ابن الجوزي عن احداث ترجع إلى بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ينظر المنتظم في تاريخ الملوك والامم (الدكن:- ١٣٥٧هـ)، ج٧، ص٢٧١-٢٧٢.
V. Minorsky, Guran (B.S.O.A.S) (London: 1945) , Vol, XI, p. t.I. p. 81.

[٦] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٨٠.

[٧] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٤٨-٢٤٩، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٧٨، الادفوى، الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن (القاهرة: ٢٠٠١)، ص ص٣٥٢-٣٥٦.

[٨] الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ ائمة اللغة، تحقيق، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة. (دمشق:- ١٩٧٢)، ص١٤٠.

مختلف الاختصاصات منها (مختصر في الفقه) وله (شرح المفصل) و (الأمالي) في العربية و(المقدمة) المشهورة في النحو وهى كافية ابن الحاجب وشافيتيه في الصرف وله (عروض) وغيرها من المصنفات[1] وكان العلامة ابن الحاجب مع العلامة ابن الصلاح الشهرزوري يعدّان من أشهر علماء الإسلام، فقد قدمّا خدمات جليلة للحضارة الإسلامية اغنيا الفكر الإسلامي بنتاجات جداً ثرية ولا تزال مصنفاتهم تعد من المصادر المعتبرة في المجالات التي عالجاها، محققين بذلك المساهمة الكردية الفعالة في الحضارة الإسلامية قبيل العهد المملوكي من جهة كثرة المؤلفات العلمية، وتطوير نوعيتها.

ب. العمران والنشاطات الحضارية الأخرى

برزت الإسهامات الحضارية للكرد في مصر والشام منذ أن انتشروا في أرجائها. وتجلت تلك النشاطات في سيرة طائفة من الشخصيات الكردية الذين سلكوا على سبيل الشهرة قبيل ظهور الدولة الأيوبية، إذ شكلت خطواتهم الحضارية منعطفاً ظاهراً ومحاولات جريئة تنم عن الإخلاص والجدارة.

بعد أن تسلم ابن السلار الكردي ولاية الإسكندرية من الدولة الفاطمية قبيل سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م حاول أن يخطو خطوات جديدة، واشتهر بأنه كان مائلاً إلى أرباب الفضل والصلاح وكان سنياً شافعي المذهب انشأ مدرسة للشافعية لأول مرة في مدينة الإسكندرية وعين عليها الحافظ أبا طاهر السلفي[2].

وتعدّ هذه محاولة فريدة من نوعها، فكانت بمثابة تحد للسلطة الفاطمية الشيعية على الرغم من وجود إشارات تلمح إلى أول محاولة للقيام بتدريس المذاهب السنية وخصوصاً المذهب المالكي خلال العهد الفاطمي، في الإسكندرية أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[3]، وبعد أن تقلد ابن السلار الكردي الوزارة بمصر سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، عمّر بالقاهرة وبعض المناطق الأخرى مساجد وكان بعضها منسوبة إليه[4]

---

[1] الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٥٤-٢٥٥، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٠.
[2] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤١٧، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص٢٨٢، علي صافي حسين، الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري (القاهرة:- ١٩٦٤)، ص٢٠٢.
[3] ينظر:- الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس (بيروت: د.ت)، ص ص١٢٥-١٣٠.
[4] ابن خلكان، م.ن، ج٣، ص٤١٧.

وهيأ ابن السلار بخطواته هذه السبيل لرجوع المذهب السني إلى مصر ومهد لعصر جديد، فلا عجب إذن أن يحقد عليه الخليفة الفاطمي وكبار رجالات الدولة فقتل بإيعاز من شخص الخليفة سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م [١].

أما الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين الكردي فهو من أمراء الكرد البارزين، في بلاد الشام، عين من قبل السلطان نور الدين زنكي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م والياً على قلعة صرخد في منطقة دمشق [٢]. انشأ مدرستين في مدينة دمشق إحداها المدرسة المجاهدية الجوانية، وهي بجانب باب الفراديس وعندما توفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م دفن بها. والأخرى المجاهدية البرانية بالقرب من مدرسة السلطان نور الدين زنكي في دمشق [٣]. وهكذا بدأت أعمال الكرد العمرانية في الشام نابعة من الحرص الديني، وحفظ السنة المطهرة صيانة للعلوم الإسلامية وإظهاراً للالتزام والمسؤولية.

وبعد أن ملك السلطان نور الدين زنكي قلعة بعلبك، أناب عليها نجم الدين أيوب الذي عمر بها خانقاها يقال لها النجمية[٤]. وكان أخوه القائد أسد الدين شيركوه مهتماً بالعمران، حيث انشأ مدرسة بحلب عرفت بالأسدية[٥]وعمر بظاهر مدينة حلب جامعاً تقام فيه الخطبة وبنى إلى جانبه مدرسة وتربة[٦]، كما بنى بظاهر دمشق مدرسة للشافعية والحنفية بقيت عامرة في العهد المملوكي[٧].

نخلص من هذا إلى أن القائد شيركوه على الرغم من انه يعد من ابرز الرجال المتنفذين في الدولة النورية غير انه لم يكن قائداً عسكرياً مهيباً فحسب، بل كان رجلاً مهتماً بالعمران مؤثراً العلماء والفضلاء، وهذا الاتجاه كان متأصلاً في الأسرة الأيوبية.

---

[١] محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها (القاهرة:- ١٩٧٤)، ص١٢٤.

[٢] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٢، ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص١٢٩.

[٣] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٢٦، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس (بيروت:- ١٩٩٠م)، ج١، ص ص٣٤٣، ص٣٤٤، ابن كنان، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق:عباس صباغ، (بيروت:١٩٩١) ص١٥٠.

[٤] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٩٠، الصفدي، م.ن، ج١٠، ص٤٨،

[٥] ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١ ق١، ص١٠٣، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١١٢.

[٦] ابن الشحنة، م.ن، ص٧١.

[٧] ينظر:- النعيمي، مصدر سابق، ج١، ص ص١١٤-١١٨.

أولى الأيوبيون بعد تأسيس دولتهم عناية كثيرة بالعمارة العسكرية وهذا راجع إلى طبيعة نشوئهم والى الظروف السياسية والعسكرية السائدة في الشام ومصر، من حيث التحدي الصليبي الذي رافق ظهور الدولة الأيوبية ووجهت الدولة اهتماماتها إلى صد غزوات الصليبين وطردهم من ديار الإسلام.

وبما أن الدولة الأيوبية كانت دولة فتح وجهاد لذا اهتمت بإنشاء عمارات عسكرية[١]. فقد قام السلطان صلاح الدين بدور كبير في تحصين مدينة القاهرة، إذ انشأ بها قلعة القاهرة المعروفة بقلعة صلاح الدين وأيضاً بقلعة الجبل في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م. وكان من ابرز العمارات العسكرية في القاهرة، حيث اضطلعت بدور دفاعي مشهود، كما وأصبحت مركزاً للسلطة في الفترات التي تلت إنشائها[٢]. تكامل بنيانها في عهد الملك الكامل واتخذها مقراً[٣] وبقيت رمزاً للسلطة إلى أواخر العصر المملوكي[٤].

وأمر السلطان صلاح الدين ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التي على الجبل ولم يزل العمل فيه إلى أن توفي السلطان سنة ٥٨٩هـ/١١٩٢[٥]. ورمم أسوار دمشق وأقام مباني عامة بقي بعضها إلى عهد قريب[٦]. وجدد أيضاً أبراج مدينة القدس وإنشاء فيها سوراً وقسم بناءه على أولاده وأخيه[٧].

---

(١) عمر الاسكندري و إ.ج زسفدج، تاريخ مصر (القاهرة:- ١٩٩٠)، ص٢٥٥.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير (بيروت:- ١٩٦٨م)، ص ص٢٣-٢٤، يقارن مع ابو الفدا، المختصر، ج٣، ص٥٩، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٨٩، للمزيد عنها ينظر بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة وتقديم احمد دراج، (القاهرة:- ١٩٧٤).

(٣) كازانوفا، م. ن، ص٨٨.

(٤) ينظر البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر (محمد قايتباي) المنسوب لابن الشحنة، تحقيق:- عمر عبالسلام تدمري (بيروت:- ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م)، ص٤٢، عبد الرحمن زكي، قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الاثار (القاهرة:- ١٩٧١)، ص ص٣٠-٣٥

(٥) ابو الفدا، مصدر سابق، ج٣، ص٩٥.، محمد الحسيني عبدالعزيز، دراسات في العمارة والفنون الإسلامية (الكويت:- د.ت)، ص ص١٢٣، ص١٣٣.

G. Feher vani, Art and Architecture (C.H.I.) ed. By P. M. Holta Ann K. S. Lambton and Bernard Lewis. (Cambridge-1986), Vol. 2B. P. 724

(٦) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي (بيروت:- ١٩٧٢)، ج٢، ص٢٨١.

(٧) العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، قدمه محمد بحر العلوم (النجف الاشرف:- ١٣٨٨/١٩٦٨)، ج١، ص٣٨٣.

واستمر النهج العمراني بعد وفاة صلاح الدين، إذ سهر الملك العادل على عمارة قلعة دمشق في سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م والزم كل واحد من ملوك آل أيوب بعمارة برج من أبراجها[١]. وفي سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م عمرّ أيضاً قلعة ببلاد الشام، وجمع لها الصناع من البلاد واستخدم العسكر أيضاً في إتمامها[٢].

وقد قام الملك المعظم صاحب الشام بناء الطارمة التي على باب الحديد[٣] بسور دمشق[٤]. وشرع في سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م صاحب حمص أسد الدين شيركوه في عمارة قلعة (سميس) شميمش وهي على تل عال عند سلمية[٥]. وبنى الملك المظفر صاحب حماة في سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م قلعة المعرة وشحنها بالرجال والسلاح[٦].

وبهذا نلاحظ أن الاستحكامات الأيوبية في مدن الشام بلغت حداً كبيراً من الاهتمام والعناية، بغية الدفاع عن المنطقة واستخدامها نقطة انطلاق في مهاجمة الصليبيين.

واهتم الملك العزيز عثمان بن العادل بعمارة البلاد في الشام، إذ بنى قلعة الصبيبة بين بانياس وتبنين، وهونين[٧]. وبنى الملك الناصر بن الملك العزيز في سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٥م أبراجاً بسور حلب تضاهي كل واحد منها قلعة[٨]. وصلت اهتمامات الكرد بالعمران العسكري في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب مستوى كبيراً، إذ شرع في بناء قلعة الجزيرة (قلعة الروضة) إمام الفسطاط كأحد الاستحكامات العسكرية وغرم عليها أموالاً كثيراً واتخذها دارا للملك[٩].

---

[١] ابو الفدا، مصدر سابق، ج١، ص١٠٩، الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢١٩.

[٢] ابو الفدا، مصدر سابق، ج٣، ص١١٤.

[٣] باب الحديد، أحد الأبواب دمشق سمي بذلك لأن الاهالي صفعته بالحديد. البدري، نزهة الانام في في محاسن الشام (القاهرة:- ٣٤١ هـ)، ص٢٧.

[٤] الصفدي، تحفة ذوي الالباب، ج٢، ص١٠٩، الحنبلي، مصدر سابق، ص٢٨٤.

[٥] ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٣٨٧، ابو الفدا، المختصر، ج٣، ص١٤٥.

[٦] ابو الفدا، مصدر سابق، ج٣، ص١٥٥.

[٧] الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٠٦.

[٨] ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص١٩.

[٩] المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٨٣، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٤١.

وأمر في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٧م بعمارة سور مدينة القدس[١] وعمل أبراجاً في سور مدينة دمشق، ولا تزال آثارها باقية إلى الآن ومعروفة بإسمه[٢].

ونال العمران المدني قسطاً كبيراً من اهتمام الأيوبيين الذي شمل إنشاء قناطر ومارستانات وخانات فضلاً عن إعمار بعض المدن التي كانت لها اثر واضح في المجال العسكري أيضاً.

وبنى السلطان صلاح الدين الأيوبي قناطر على نهر النيل وهي اكثر من أربعين قوساً تعرف بقناطر الجيزة، وكان يشرف على إعمارها قراقوش الاسدي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٢م[٣].

وبنى الأمير عزالدين موسك قريب السلطان صلاح الدين (ت ٥٨٤هـ/١١٨٩م) قنطرة الموسكي على الخليج الكبير[٤].

ومن جانب آخر اهتم السلطان صلاح الدين بإنشاء المارستانات، أشهرها المارستان الذي كان بمدينة القاهرة والذي كان يحتوي على كل المستلزمات الطبية لمعالجة المرضى ووصف بأنه ((قصر من القصور الرائقة حسناً واتساعاً))[٥]. ووقف عليه الأوقاف[٦]. ومن ابرز الخانات التي بناها الخان الذي كان واقعاً بين مدينتي حمص ودمشق وكان ملاذاً للمسافرين والغرباء[٧].

كان لبعض أمراء الكرد دور فعال في إعمار قرى مصر، إذ انشأ الأمير درباس الكردي أحد أمراء السلطان صلاح الدين قرية تقع في منطقة قوص[٨] تدعى طود[٩]. وكان الملك الظاهرملك حلب أجرى الماء إلى مدينة حلب وغرم على ذلك الكثير من الأموال وبهذا

---

[١] الذهبي، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥٠.

[٢] عفيف البهنسي، الشام لمحات آثارية وفنية، ص١٠٥.

[٣] ابن جبير، رحلة ابن الجبير، ص٢٥، المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٥١ " وتجدر الإشارة إلى أن قراقوش كان خصي رومي من أعيان الأمراء الأسدية، ينظر:- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (د. م. ت)، ص٢١٥.

[٤] المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٤٧.

[٥] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٤، وينظر المقريزي، الخطط، ج١/ص٤٠٧..

[٦] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦ /ص٧٩.

[٧] ينظر عنه:- ابن جبير، مصدر سابق، ص ص٢٠٩-٢١٠.

[٨] قوص:- مدينة قديمة بصعيد مصر. وكانت محاطة بسور من الحجر، ينظر، ناصر خسرو، سفرنامه، سفرنامه، ترجمة:- يحيى الخشاب (القاهرة:- ١٩٤٥)، ص٧١.

[٩] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ص٤٦.

أصبحت المنطقة تجري فيها الماء[١] واشتهر الملك المنصور صاحب حما بأنه كان معتنياً بعمارة بلده، حيث بنى جسراً بظاهر حماة خارج باب حمص[٢]. أما الملك المعظم ملك دمشق، فقد بنى في منطقة دمشق بعض الخانات ودور الضيافة فضلاً عن أعماله الحضارية في ارض الحجاز[٣].

بعد أن استقر الملك الكامل في الحكم شرع في عمارة بلاده[٤]. وبنى مدينة على بحر أشموم مقابل ناحية طلخا بين دمياط والقاهرة في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م وسماها (المنصورة) تخليداً لانتصاره على الفرنج هناك[٥] وكان فيها الأسواق والفنادق والحمامات[٦]. وبنى وبنى كذلك الميدان بقلعة الجبل وعمر إلى جانبه بركا ثلاث لسقيه، وأجرى الماء إليها واهتم بها الملك الصالح بعده وغرس حوله الأشجار[٧].

وعرف الملك الأشرف موسى الأيوبي (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٨م) بعنايته بالعمران، إذ بنى خاناً وبعض الأبنية في منطقة دمشق وصفت بأنها عظيمة وأنشأ متنزهات حسنة[٨].

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب فضلاً عن اهتماماته العسكرية لا يغفل عن العمران المدني، إذ بنى مدينة الصالحية في أول الرمل بين مصر والشام في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م وانشأ بها قصوراً وسوقاً وجامعاً[٩]، وبنى مناظر الكبش وهو قصر عظيم خارج باب الزويلة بين مصر والقاهرة وأصبحت بعد وفاته من المنازل الملوكية، وانشأ أيضاً قنطرة السد التي تقع في الخليج الكبير ولها قوسان[١٠]. وبنى مناظر اللوق على

---

[١] الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٥٤

[٢] ابو الفداء، المختصر، ج٣، ص ص١٢٥-١٢٦

[٣] الحنبلي، مصدر سابق، ص٢٨٤.

[٤] ابن خلكان، وفيات الاعيان ج٥/ ص ص٨٠-٨١، ابو الفدا، م.ن، ج٣، ص١٦١

[٥] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج٥، ص ٢١٢.

[٦] أبن أياس، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق:- محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة:- ١٩٩٥)، ص٢٢١.

[٧] المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٨.

[٨] ابو الفدا، المختصر، ج٣، ص١٦٠، الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٩٥.

[٩] ابن اياس، مصدر سابق، ص١٨٦.

[١٠] المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١١٣، ١٣٣، ١٤٦، ويقارن مع ابو الفدا، مصدر سابق، ج٣، ص ١٨٠.